**مقدمة:**

تعد الحضارة المعيار الأساسي لتقدم الأمم وتطور الدول وازدهار الشعوب، وهي الوعاء الذي يحوي العطاء البشري الذي يشكل قالبا يميزه عن غيره من الشعوب والأمم

**مفاهيم حول الحضارة الإسلامية:**

**المفهوم اللغوي:**

"لغة: كلمة الحضارة في اللغة العربية مشتقة من فعل "حضر" الذي هو نقيض غاب، ومنه المغيب، ومشتقات هذه المادة هي: حضر، يحضر حضورا، وحضارة؛ ويقال بحضرة ماء أي عنده، وحضرت الصلاة، والحضرة خلاف البادية، والحاضر المقيم في المدن والقرى؛ والبادي المقيم بالبادية؛ وهي المدن والقرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار"[[1]](#footnote-1)

لغة: "يقول المعجم الوسيط: الحضارة -بكسر الحاء وفتحها- تعني الإقامة في الحضر، وأن مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر وفي القاموس المحيط الحضارة ضد الفعل غاب، والحاضرة والحضارة بفتح خلاف البادية وفي تاج العروس: الحاضرة والحضرة والحضر هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار"[[2]](#footnote-2)

**"**إن كلمة حضارة مشتقة من الحضر، ومدنية مشتقة من الحياة المدنية، كما ان الكلمة الأجنبة التي تقابلها Civilisation مشتقة من المدنية Civilas أساسا،أو بصورة مباشرة من ساكن المدينة Civis، أو من civilis وهو ما يتعلق بساكن المدينة. وفي موسوعة القرن العشرين: "الحضارة الإقامة في الحضر" وفي مدنية جاء التعريف التالي: مدنية: كلمة مشتقة من مدَّن المدائن، أي حضرها وبناها، ونحتوا منها فعل تمدن، وجعلوا معناه تخلقوا بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة ودخل حالة الحضارة**"[[3]](#footnote-3)**

**نورد الاستخدامات التي ذكرها ابن منظور** حسب ترتيبها[[4]](#footnote-4):

1. الحضور نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورا حضارة، وكلمه بمحضر فلان وبحضرته أي بمشهد منه.
2. بمعنى عنده: كنا بحضرة ماء، ورجل حاضر.
3. قرب الشيء: الحضرة: وتقول كنت بحضرة الدار.
4. جاء أو أتى: حضرت الصلاة، أو حضر القاضي.
5. الحضر خلاف البدو: والحضارة الإقامة في الحضر.
6. الحاضرة الحي العظيم.
7. الحاضر ضد المسافر.

وانطلاقا من الجذر اللغوي "حضر" بمعنى شهد من الحضور الذي هو نقيض المغيب، نبحث عن الدلالات القرآنية لهذا المفهوم، فنجد أن حضر في القرآن الكريم تعني شهد: ﴿إِذا حَضَر أَحَدكُم المَوْت﴾ البقرة180، ﴿وَإِذَا حَضَر القِسْمَة أًولًو القًرْبَى﴾ النساء8، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه﴾ البقرة175، وهي دلالات كلها تعني الشهادة والحضور. [[5]](#footnote-5)

وللشهادة في القرآن أربع دلالات متكاملة فيما بينها تتحد لتؤدي معنى الحضارة أو الشهادة في الفهم الإسلامي، هذه المعاني والدلالات لا يمكن تجزئتها وإلا فقدت مضمونها ومعناها، فأي واحدة من هذه المعاني الأربعة تمثل جزءً من بناء مفهوم الحضارة، وهذه الدلالات هي[[6]](#footnote-6):

1. الشهادة بمعنى التوحيد والإقرار بالعبودية لله، والاعتراف بتفرده سبحانه بالألوهية والربوبية، وهي محور العقيدة الإسلامية، وعليها يتحدد التزام الإنسان بمنهج الله أو الخروج عنه.
2. الشهادة بمعنى قول الحق وسلوك طريق العدل، أو الإظهار والتبيين، أو الإخبار المقرون بالعلم، أو الملاحظة والمراقبة، وتعد مدخلا من مداخل العلم ووسيلة من وسائل تحصيل المعرفة.
3. الشهادة بمعنى التضحية والفداء وتقديم النفس في سبيل الله حفاظا على العقيدة ودفاعا عن تحرير الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله حفاظا على العقيدة ودفاعا عن تحرير الإنسان من عبادة العباد وإخراجه إلى عبادة الله وحده.
4. الشهادة كوظيفة لهذه الأمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّة وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدَا﴾ البقرة143.

"وطبقا لهذه المعاني الأربعة، فإن الحضارة هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي ينتج عنها نموذج إنساني يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي يتعلق بوحدانية خالق هذا الكون وواضع نواميسه وسننه والمتحكم في تسييره، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هي تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون في تعمير أرضه وتحسينها وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها وحسن التعامل مع المسخرات في الكون...كذلك إقامة علاقة مع بني الإنسان في كل مكان على ظهر الأرض أساسها الأخوة والألفة وحب الخير والدعوة إلى سعادة الدنيا والاخرة"[[7]](#footnote-7)

**المفهوم الاصطلاحي:**

**"**التعريف الاصطلاحي للحضارة: يبدو أن استخدام كلمة "الحضارة" في اللغة العربية له دلالة مكانية تحمل مجالاتها معنى الحركة، وقد تطورت لتحمل دلالة التعاون، والتآزر، وتبادل الأفكار، والمعلومات في شتى شؤون الحياة، وعند ابن خلدون: "الحضارة إنما هي تفنن في الترف، وأحكام الصنائع المختلفة في وجوهه، ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله"[[8]](#footnote-8)**"**[[9]](#footnote-9)

**"**لقد بين ابن خلدون أن الحضارة لا تظهر إلا في المدن والقرى، وأنها غاية العمران تتصل بالتفنن في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع، وسائر الفنون، والحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ الحياة من غير مزيد**"**[[10]](#footnote-10)

**الرؤية الأمريكية للحضارة: "**وفي قصة الحضارة لول ديورانت استخدمت كلمة حضارة وكلمة مدنية بمعنى واحد**"[[11]](#footnote-11)** ويرى أيضا: أنها نظام اجتماعي يعين الناس على الزيادة في الإنتاج الثقافي وتتألف الحضارة عنده من أربعة عناصر وهي الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم وتبدأ الحضارة عنده حيث ينتهي الاضطراب والقلق"[[12]](#footnote-12)

**"**المدنية (والتي اشتقت من مدَّن المدائن، ومن التمدن)، تعني ابتعاد الجماعات الريفية التي تنتقل من المدنية إلى جذورها، والتمدين يعني الرغبة في حياة أغنى وأرقى، وعلى ذلك فالمدنية: التقدم العلمي والتكنولوجي والرفاهية والرقي الذي وصلت إليه المجتمعات**"[[13]](#footnote-13)**

ويرى شوقي أبو خليل كنقد لرأي ول ديورانت أن: "ونرى أن الحضارة لا تعني الجانب المادي فقط، بل أنها تشمل الجانب الروحي العقائدي الفكري التشريعي أيضا، وبالتالي تشمل نظرة متكاملة منسجمة إلى: الكون والإنسان والحياة"[[14]](#footnote-14)

يقول حسين مؤنس: "الحضارة -في مفهومنا العام- هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود، وسواءً أكانت الثمرة مادية أم معنوية"[[15]](#footnote-15)

"ضرورة الإشارة إلى أن كلمة حضارة وتحضر لم نكن شائعة الاستعمال عند العرب، ولطيلة عدد من القرون التي أعقبت الفتوحات الإسلامية، ونستثني من ذلك ابن خلدون لأنه أول من عبر عن المعنى في مقدمته بالرغم من أنه كان يستخدم مصطلح العمران البشري كمرادف لمعنى الحضارة"[[16]](#footnote-16)

"1- إن الحضارة تعني الإقامة في الحضر، في مقابل ساكن المدينة، وذلك من خلال التعريفات اللغوية.

2- إن ثمة ارتباطا وثيقا بين كل من الثقافة والحضارة، حيث أن لكل حضارة ثقافتها الخاصة.

3- إن هناك بعض التعريفات التي تؤكد على أهمية البعدين الروحي والأخلاقي في الحضارة مقابل الجانب المادي، وهو ما اصطلح عليه باسم المدنية كما عند شبنجلر وشفيتزر"[[17]](#footnote-17)

"نستنتج مما سبق، أن حقيقة **الذاتية الحضارية لأمة** ما تتبدى من خلال أبعادها **الدينية والفكرية** التي تكون بمثابة النهج الدافع لصياغة هذه الأبعاد في حركة الواقع، والوسائل المادية ‹‹وهو ما اصطلح على تسميته باسم المدنية›› إلا أدوات تستخدم على الوجه الذي يحقق الغاية التي تتجه إليها هذه الحضارة.

فالحضارة من حيث الجانبين المادي والمعنوي لا تنقسم وإنما تتكامل، فالحركة الحضارية يجب أن تتم داخل إطار الثبات، ثبات القيم، ثم حركة الوسائل التي تحيل تلك القيم إلى برنامج عملي يميز الحضارة إبان مسيرتها ويسمها بسمتها الخاص"[[18]](#footnote-18)

"تعريف **مالك بن نبي:** الحضارة عند مالك بن نبي هي تركيب ثلاثة عناصر أو ناتج حضاري يساوي: "إنسان + تراب + وقت" وعن بدايتها يقول أن الحضارة تبدأ بظهور فكرة دينية، ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها بعد أن تفقد الروح ثم العقل، ويعبر عن ذلك في المعادلة التالية: "الانحطاط = انحطاط النفس + انحطاط الروح + انحطاط العقل"، فقد بعث الدين في المسلم محركا للحضارة فلم يلبث بعد فترة قضاها في الخلافات والحروب –أي مرحلة تأسيس الدولة- أن عاد إلى حيث هو الآن إنسانا بدائيا"[[19]](#footnote-19)

"ونستنتج أن هناك 3 اتجاهات في تعريف الحضارة:

* **الاتجاه الأول:** يركز على الجانب المادي للإنسان والحياة.
* **الاتجاه الثاني:** يركز على الجانب الروحي أو المعنوي للإنسان.
* **الاتجاه الثالث:** وهو الذي يجمع بين الجانبين المادي والمعنوي للإنسان والحياة.

وانطلاقا من هذه الاتجاهات، فإن **الحضارة الإسلامية** هي كل إنتاج روحي ومادي ينسب إلى الشعوب التي دخلت إلى الاسلام، ونشرت نمط الحياة الإسلامية، ونهضت بفطرة الإنسان روحيا وماديا؛ ودينا ودنيا؛ وعقلا وبطنا؛ وقلبا وضميرا؛ وكل هذا في توازن فذ واتساق لا نظير له"[[20]](#footnote-20)

**المدنية – الثقافة - الحضارة:**

**"**هناك مسألة أخرى يتحتم التأشير عليها في مدخل كهذا، تلك هي ضرورة ألا ننساق وراء التقسيم التقليدي المعروف الذي يتردد خلال الحديث عن "الحضارة" و"الثقافة" و"المدنية". ذلك هو أن "الحضارة" - أياً كانت - تتضمن "المدنية" التي تعنى بالجوانب المادية: الاقتصادية والتطبيقية والعمرانية والتنظيمية، و"الثقافية" التي تعنى بالجوانب المعرفية والأخلاقية والروحية والجمالية. وأن مكان العقائد والأديان إنما يحتل مساحة ما من الجانب الثقافي للحضارة. والحق إن الدين، أو العقيدة، في المنظور الإسلامي، إنما هي أوسع بكثير من أن تقتصر على جانب ما من دائرة الثقافة، بل هي أوسع حتى من دائرة الحضارة على امتدادها. إنها رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان...برنامج عمل ومنهاج حركة يهيمن على سائر المعطيات الحضارية: مدنية وثقافية، ولا ينضوي تحت أية جزئية منها، مهما كانت فاعلية هذه الجزئية وغنى معطياتها. إن هذه الرؤية العقيدية ذات الطابع الشمولي هي التي يتحتم أن تحتوي الحضارة، وتصبغها، وتمنحها خصائصها، وترسم سبل صيرورتها ونموها...وليس العكس بحال من الأحوال. إن التقاليد المعرفية الوضعية، من جهة، وانكماش المساحة التي تحركت عليها النصرانية أو البوذية أو غيرهما من الأديان والعقائد والفلسفات، وعدم قدرتها على تغطية مطالب الحياة كافة، والاستجابة لنداءات القوانين والسنن التاريخية، من جهة أخرى، هي التي كادت أن تفرض هذا التقسيم الخاطئ الذي يحجّم دور العقيدة أو الدين، ويجعله أسير مساحة أو حيز من دائرة أكثر اتساعا هي دائرة الثقافة.**"[[21]](#footnote-21)**

1. - راجعي:ابن منظور، لسان العرب، / إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 13. [↑](#footnote-ref-1)
2. - سليمان الخطيب، **أسس مفهوم الحضارة في الإسلام**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية دت، ص24. [↑](#footnote-ref-2)
3. - شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 19-20. [↑](#footnote-ref-3)
4. - نصر محمد عارف، **الحضارة-الثقافة-المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم**، ط2، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1415ه-1994م، ص 56. [↑](#footnote-ref-4)
5. - نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، ص 57. [↑](#footnote-ref-5)
6. - نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، ص 58. [↑](#footnote-ref-6)
7. - نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة-المدنية، ص 59. [↑](#footnote-ref-7)
8. - راجعي ابن خلدون، المقدمة، ص 171-174. [↑](#footnote-ref-8)
9. - إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 13. [↑](#footnote-ref-9)
10. - إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 14. [↑](#footnote-ref-10)
11. - شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص 20. [↑](#footnote-ref-11)
12. - نبيل مسيعد، **فلسفة الحضارة**، مذكرة دروس للسنة ثانية ماستر 2017-2018م، قسم الفلسفة، جامعة بادي مختار عنابة، ص2. [↑](#footnote-ref-12)
13. - شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص 20. [↑](#footnote-ref-13)
14. - الحضارة العربية الإسلامية، ص20. [↑](#footnote-ref-14)
15. - **الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، الكويت: عالم المعرفة (دت)، ص13. [↑](#footnote-ref-15)
16. - سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة، ص25. [↑](#footnote-ref-16)
17. - سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة، ص65. [↑](#footnote-ref-17)
18. - سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة، ص112. [↑](#footnote-ref-18)
19. - إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 16. [↑](#footnote-ref-19)
20. - إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 17. [↑](#footnote-ref-20)
21. - عماد الدين خليل، **مدخل إلى الحضارة الإسلامية**، لبنان: الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، 1426ه/2005م، ص11. [↑](#footnote-ref-21)